محبة الله والشوق

محبة الله يجب أن تكون ظاهراً وباطناً.

أما الظاهر: أن تبتعد عن أدناس النفس والأذى بين الناس.

وأما الباطن: أن تصفي قلبك من الأدناس وتجعله مسكناً لنور الرحمٰن لأن هذا القلب لا يكون مسكناً للرحمٰن والشيطان في آنٍ واحد لا يجتمع فيه الظلمة والنور.

الحب في الله أعظم كلمة في الوجود وأعظم وأرقى حال يشعر به الإنسان تجاه خالقه أو تجاه أخيه الإنسان، وإذا أحب الله عبداً استنارت جوارحه وأشرقت بنور الهداية أفعاله وظهرت عليه آثار الإقبال ونور الجمال والجلال، ومن نظر إليه أحبه واهتدى على هديه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ قَالَ لِجبرِيل عليه السلام: يَا جبرِيلُ إِنّي أُحِبُّ فُلاناً فأَحِبَّهُ. فَيُحِبّهُ جبريلُ ثُمّ يُنادِي جبريل عليه السلام في أَهلِ السَّماءِ إِنَّ اللهَ تعالى قَد أحَبَّ فُلاناً فَأحِبُّوهُ فَيُحِبه أَهلُ السَّماءِ: ثُمَّ يَضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرضِ**»[1].

شرح الحديث:

ما أعظم هذا الإلٰه الكريم، في أسراره عظمة وفي إفشائها حكمة، إذا أحب عبداً من عبيده أنزل هذه المحبة في قلوب الملائكة المقربين وينال الرضا والقبول من إخوانه المؤمنين.

---

(١) متفق عليه.

ولا يحب الملك عبده إلا إذا أحسن العبد في الخدمة والإخلاص والجد في العمل، فيعلم ذلك سيده فيحبه ويرزق محبته، من رآه وسمع منه (اللهم اجعلنا منهم).

واعلم إن كنت تحبه مذ عرفته فإنه يحبك منذ الأزل لأنه يقول ـ جل من قائل ـ في أحد كتبه: لولا حبي لعبدي في الأزل ما قدر العبد أن يحبني. لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة، الآية: ٥٤].

الدليل القرآني

الحب دليل الإيمان.

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة، الآية: ٥٤].

كلما ازداد إيماناً ازداد حباً.

لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٦٥].

يقول عز من قائل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان، الآية: ٣١].

اعتذار محب

حكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكان يحب الله ورسوله ولكن محبته لله أكثر.

فقلت: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله تعالى شغلتني عن محبتك.

فقال لي: يا مبارك من أحب الله فقد أحبني.

قيل: قالت رابعة العدوية في مناجاتها لربها: إلٰهي تحرق بالنار قلباً يحبك!!

فهتف بها هاتف: (ما كنا نفعل هكذا بمن يحبنا فلا تظني بنا ظن السوء).

الأسباب المورثة للمحبة

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

أوصى الله إلى داود عليه السلام: يا داود إذا كان الغالب على عبدي الاشتياق إلي والاشتغال لي، جعلت راحته ولذته في ذكري وعشقته ورفعت الحجاب بيني وبينه، أحبه ويحبني حتى لا يغفل إذا غفل الناس، ولا يسهو إذا سها الناس، ولا يلهو إذا لها الناس، أولئك الأبرار حقاً، يا داود أوليائي في قبائي لا يعرفهم سوائي فطوبى لأوليائي وطوبى لأحبابي.

٢ ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

من المحبة أداء حق الله تعالى

قال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً!

فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي!

فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: المحب عبد ذاهب عن نفسه إلى ربه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه قد أحرق قلبه أنوار هويته ـ أي: أنوار ذاته ـ وصفا شربه من كأس ودِّه ـ أي: حبه ـ وانكشف له الجبار تعالى عن أستار غيبه فإن تكلم فبالله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله!! ومن الله ولله ومع الله.

٣ ـ دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فتصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا التذكر.

يُعاقبُ ولا يدري

وحكي أن رجلاً من العُبّاد قال: إلٰهي إلى كم أعصيك ولا تعاقبني؟

فأوصى الله إلى نبيٍّ ذلك الزمان: قل له: إلى كم أعاقبك وأنت لا

تدري، ألم أحجبك عن لطائف أنسي؟ ألم أخرج من قلبك حلاوة مناجاتي؟

إذاً يجب أن لا يشتغل القلب إلا بمولاه لأن الله يحب القلب الذي فيه السكينة والقوة في الحق والليونة بين الإخوان.

لما اشتغل قلب السيدة مريم بحب ابنها سمعت صوتاً: لما كان سرُّك صافياً لنا كنا نرزقك في الشتاء والصيف بغير واسطة، وبعد مجيء سيدنا عيسى عليه السلام انشغلت به قليلاً فصار يأتيها رزقها بشدة وذلك لقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريَم، الآية: ٢٥].

٤ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

كيف نحب الله

روى أن الله تعالى أوصى إلى داود عليه السلام: يا داود، أحبني وأحب أحبائي وحبِّبني إلى عبادي.

فقال داود: إلٰهي أُحبك وأحبُّ أحباءك فكيف أُحبّبك إلى عبادك؟

فقال: ذكِّرهم آلائي وحُسنَ لطائفي[1].

مالك الملك

من آداب المؤمن مع اسم «مالك الملك» أن يكثر من ذكره وبذلك يغيبه الله عن الناس، روى الرازي عن سفيان بن عيينة هذه القصة: بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلاً وقع في قلبي أنه من عباد الله المخلصين.

فدنوت منه فقلت: هل تقول شيئاً ينفعني الله به؟

(١) حال أهل الحقيقة مع الله.

فلم يرد علي جواباً.

ومشي في طوافه فلما فرغ صلى خلف المقام ركعتين ثم دخل الحجر فجلس.

فجلست إليه فقلت: هل تقول شيئاً ينفعني الله به؟

فقال: هل تدرون ما قال ربكم؟

قال ربكم: أنا الملك أنا الحي الذي لا أموت هلموا أطيعوني أجعلكم أحياء لا تموتون.

أنا الملك الذي لا أزول هلموا أجعلكم ملوكاً لا تزولون.

أنا الملك الذي إذا أردت شيئاً قلت له: كن فيكون هلموا أطيعوني أجعلكم إذا أردتم شيئاً قلتم له كن فيكون.

قال: ثم نظرت فلم أجد أحد فظننت أنه الخضر عليه السلام.

الله هو الرؤوف

الرؤوف: الشديد الرحمة، والرأفة أشد من الرحمة.

قيل: إن الرؤوف في أسماء الله هو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى أوليائه بالعصمة.

وقال القشيري عن الرؤوف: ومن رحمته بعباده أن يصونهم من موجبات عقوبته وإن عصمته عن الزلة أبلغ في باب الرحمة من غفرانه المعصية.

ومن رحمته بعبده أن يصونه عن ملاحظة الأغيار فلا يرفع حوائجه إلا إليه.

وقال رجل لبعض الصالحين: ألك حاجة؟

فقال: لا حاجة بي إلى من لا يعلم حاجتي.

وقيل الرؤوف هو الذي ستر ما رأى من العيوب ثم عفا عما ستر من الذنوب لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البَقَرَة، الآية: ٢٠٧].

الله هو العفو

العفو: هو الصفح، وهو ترك التأنيب، وهو أبلغ من العفو، فقد يعفو ولا يصفح أما العفو فهو القصد لتناول الشيء.

ويعرّف الغزالي «العفو» بأنه هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، فإن الغفران ينبىء عن الستر والعفو ينبىء عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

ويذكر القشيري: أن العفو هو الذي يمحو آثار الذنوب ويزيلها بريح المغفرة، فهو يمحو الذنوب من ديوان الحفظة بأن ينسيها قلوبهم وقلوب المذنبين، لقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النِّساء، الآية: ٩٩].

وحظ العبد من اسم ربه العفو: أن يتخلق بالعفو والإحسان، ومن أكثر من ذكر هذا الاسم فتح الله له باب الرضا وحبب إليه مكارم الأخلاق[1].

٥ ـ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

وراد العجلي

كان إذا كان السحر سجد ثم بكى ثم قال: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقِك أيها المنان.

مولاي: عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح بخيرك الفائزون.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى.

فلما مات وحمل أنزلوه في حفرته، فإذا اللحد مفروش بالريحان فأخذ بعضهم منه فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير، يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه، فكثّر الناس في ذلك حتى خاف الأمير أن تفتتن الناس فأرسل فأخذ الريحان وفرق الناس، وفقده الأمير من منزله لا يدري كيف ذهب.

أخذ الله منه كل شيء سوى حبه

قال عبد الواحد بن زيد: خرجت إلى ناحية الحربية فإذا أسود مجذوم قد تقطعت له كل جارحة بالجذام وعمي وأُقعد، فإذا الصبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه فإذا هو يقول: يا سيدي إنك لتعلمُ أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظمي بالمناشير ما ازددت لك إلا حباً فاصنع ما شئت.

الصبر على العبادة دليل المحبة وكثرة القيام دليل المحبة.

بُردة الصَّريميَّة:

كانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها فقيل لها: أما تخافين على بصرك أن يذهب؟

فقالت: دعوني فإن أكن من أهل النار أبعدني الله تعالى وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله ﷻ عينان خيراً من عينيَّ.

كانت بردةُ تقوم الليل فإذا هدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأتِ العيونُ وغارتِ النجوم وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وقد خلوتُ بك يا محبوبُ أفتُراك تعذبني وحبُّك في قلبي؟

٦ ـ انكسار القلب بكليته بين يديه تعالى ذليلاً وتواضعاً.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَديد، الآية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال، الآية: ٢] .

ذهب بصره شوقاً لله

قيل: إن رجلاً من أهل البصرة بكى من شوقه حتى ذهبت عيناه.

ثم قال: إلٰهي إلى متى لا ألقاك فبعزتك لو كانت بيني وبينك نار تلتهب ما رجعت عنك بعونك وتوفيقك حتى أصلَ إليك ولا أرضى بدونك بديلاً.

علامة المحب

قال إبراهيم بن أدهم: دخلت جبل لبنان فإذا أنا بشاب قائم يقول:

يا من قلبي له محب ونفسي له خادمة وشوقي إليه شديد متى ألقاك؟

فقلت: رحمك الله ما علامة حب الله؟

قال: حب ذكره.

قلت: فما علامة المشتاق؟

قال: أن لا ينساه في كل حال.

وقال فارس: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة. فيقول: هؤلاء المشتاقون إليَّ أشهدكم يا ملائكتي أني إليهم أشوقُ.

وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء.

يفرح بلقاء محبوبه

قيل أن بعض أهل المعرفة حضرته الوفاة فبكت امرأته.

فقال: ما يبكيك؟

قالت: كيف لا أبكي وأنا أبقى منك فرداً وحيدة.

قال: يا زوجتي أنا منذ أربعين سنة أبكي شوقاً إلى هذا اليوم فإنه يوم وصلي وأُلفتي وراحتي فمرحباً به.

٧ ـ الخلوة به وقت التجلي الإلٰهي لمناجاته لا سيما في الأسحار وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

الخلوة رزقته الأنس بالله

كان فتح الموصلي رضي الله عنه يبكي، فلما مات رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا فتح هذا البكاء لماذا؟

قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك.

قال: فلم بكيت الدم؟

قلت: يا رب خوفاً على دموعي أن لا تصح لي.

قال: يا فتح ما أردت بذلك كله؟

قلت: يا سيدي أردت بذلك وجهك الكريم ارزقني أن أنظر إلى وجهك الكريم واصنع بي ما شئت.

فقال: وعزتي وجلالي لم يصعد إليَّ حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلألبسنك لباس التكريم ولأمتعنك بالنظر إلى وجهي الكريم.

عطاء الله لأهل المناجاة

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: دخلت يوماً على أبي سليمان الداراني فوجدته يبكي فقلت: ما يبكيك؟

فقال: يا أحمد كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت

العيون وخلا كل حبيب بحبيبه استنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربها وارتفعت هممها إلى ذي العرش وجرت دموعهم على خدودهم فتعطلت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً إليه، وأشرف عليهم سبحانه ونظر إليهم وناداهم:

أحبائي العارفين بي اشتغلتم ونفيتم عن قلوبكم ذكرى غيري، أبشروا إن لكم السرور والقرب يوم تلقوني.

ونادى عز من قائل: يا جبريل، بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلي وأناخ بفنائي ـ أي بقربي ـ فإني مطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم وأرى تقلبهم واجتهادهم، فأنادي فيهم ما هذا البكاء الذي أسمع وما هذا التضرع الذي أرى منكم، هل سمعتم وأخبركم أحداً أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار، أم بلغكم أني أطرد من لاذ بي واستجار. فوعزتي لأبيحنكم دار القرار ولأرفعنّ لكم حجبي والأستار ولأعوضنكم بدموعكم الفرح والاستبشار.

٨ ـ مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ومن الأدب في مجالستهم ألا تتكلم في حضرتهم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مريداً لحالك منفعة لغيرك.

محبة خليل الرحمٰن

قيل: لمّا ألقي الخليل إبراهيم عليه السلام في النار ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبيَاء، الآية: ٦٨].

قال: حسبي ربي ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير.

وقال الله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبيَاء، الآية: ٦٩].

وروي أن الله تعالى أوحى إليه: أي يا إبراهيم أنت خليلي وأنا خليلك، فلا تشغل قلبك بدوني فتنقطع الخلة بينك وبيني.

لأن الصادق في دعوى خلتي من أُحرق بالنار لم يتحول قلبه عني إلى غيري إجلالاً لحرمتي.

وذكر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٣١] فعرف صدقه في التسليم حتى ألقي في النار[١].

مناجاة المحبين

قال النبي ﷺ في مناجاته: «**إلٰهي إذا قرّت أعينَ أهل الدنيا من دنياهم فأقرّ عيني بك وأقرَّ عيني بلذائذ أُنسكَ والشوقِ إلى لقائك**».

قال أحد المحبين: يا خير مؤنس وأنيس، يا خير صاحب وجليس، طوبى لمن اكتفى منك بك، اللهم لبيك لبيك يا حبيب القلوب، لبيك يا سرور القلوب، لبيك لبيك يا منى القلوب، لبيك اللهم آليتُ بك عليك أن لا تصرفني بك عنك ولا تحجبني بك عنك.

إلٰهي: إن قربتني منك فمن الذي يبعدني؟! وإن أعززتني بك فمن الذي يذلني؟! وإن رفعتني إليك فمن الذي يضعني؟!

إلٰهي:

سِرِّي عندك مكشوف وأنا إليك ملهوف وأنت بالجود معروف وبالكرم موصوف.

إلٰهي:

أنت أنيسُ المستأنسين من أحبابك، ومأوى المحبين من أصفيائك وجليس الملهوفين من أوليائك.

إلٰهي:

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله.

ما أطيب معرفتك في قلوب العارفين! وما أحلى ذكرك في أفواه الذاكرين! وما أحلى ذكرك في أفواه الذاكرين! وما أحلى مودتك في أسرار المحبين!

إلٰهي:

اجعل أجلّ العطايا في قلبي حياءك وأعذبَ الكلام على لساني ثناءك وأحبّ الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاءك.

إلٰهي:

ما أوحش قلباً ليس فيه ذكرك! وما أخرب قلباً ليس فيه خوفك! وما أقل سروراً ليس فيه حبَّك!

إلٰهي:

هذه لذائذ المناجاة فكيف لذائذ الملاقاة؟

إلٰهي:

عجبت ممن يعرفك كيف لا يستغني عمَّن سواك؟

إلٰهي:

عجبت ممن أنس بك كيف لا يستوحش عن غيرك؟

إلٰهي:

عجبت لمن أرادك كيف يريد سواك؟

إلٰهي:

هذا سروري بك في دار الفناء فكيف سروري بك في دار البقاء؟

إلٰهي:

هذه لذائذ المحبة فكيف لذائذ الرؤية؟

إلٰهي:

oberikandi.com

هذه لذائذ المؤانسة فكيف لذائذ الزيارة؟

إلٰهي:

سقيتني بكأس الحبِّ حتى أسكرتني فالحبُّ يقتلني والشوق يحرقني.

إلٰهي:

فرّغ قلبي لذكر عظمتك وأطلق لساني بوصف منتك وقوني على شكر نعمتك.

إلٰهي:

همّك أبطل عني الهموم وحبك حال بيني وبين الرُّقاد وشوقي إليك منعني اللذات وأنسي بك أوحشني عمن سواك.

إلٰهي:

معرفتي بك دليلي عليك وحبي لك وسيلتي إليك.

مراتب المحبة

ذكر العلماء للمحبة مراتب عشراً:

١ ـ العلاقة: وسميت بذلك لتعلق القلب بالمحبوب.

٢ ـ الإرادة: هي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

٣ ـ الصبابة: انصباب القلب إلى المحبوب بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في المنحدر.

٤ ـ الغرام: هو الحب اللازم للقلب لا يفارقه بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه.

٥ ـ الوداد: هو صفو المحبة وخالصها ولبها.

٦ ـ الشغف: هو وصول الحب إلى شغاف القلب، قال الإمام الجنيد: الشغف أن لا يرى المحب جفاء بل يراه عدلاً منه ووفاء.

obeikandi.com

٧ ـ العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه.

٨ ـ التيتم: وهو التعبد والتذلل يقال: تيَّمهُ الحب أي ذلله وعبَّده.

٩ ـ التعبد: هو فوق التيتم فإن العبد لم يبق له شيء من نفسه.

١٠ ـ الخلة: انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبق موضع لغير المحبوب[١].

حبيبي لا يموت

مر بعض الصوفية على رجل يبكي على قبر فسأله عن بكائه فقال: إن لي حبيباً قد مات، فقال: لقد ظلمت نفسك بحبك لحبيب يموت فلو أحببت حبيباً لا يموت لما تعذبت بفراقه[٢].

عيسى عليه السلام والمحبين

مر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد وهنت أبدانهم وتغيرت ألوانهم من العبادة.

فقال لهم: من أنتم؟

فقالوا: نحن عباد الله تعالى.

فقال: ولأي شيء تعبدتم؟

قالوا: خوّفنا الله من ناره فخفنا منها.

فقال: إن الله تعالى قد أمنكم مما خفتم منه، ثم جاوزهم لآخرين أشد منهم عبادة.

فقال: لأي شيء تعبدتم؟

---

(١) حقائق عن التصوف.

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله.

obeikandl.com

قالوا: شوّقنا الله جنته وما أعد فيها لأوليائه فنحن نرجوها بعبادتنا.

فقال: إن الله أعطاكم ما رجوتم، ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون.

فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن المحبون لله ﷻ لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقنا إلى جنته ولكن حباً له وتعظيماً لجلاله.

فقال: أنتم أولياء الله حقاً وقد أمرت أن أقيم معكم، وأقام بينهم.

كلامه تعالى مع المحبين

بلغنا أن الله تبارك وتعالى يتجلى للمحبين فيقول لهم: من أنا؟

فيقولون: أنت مالك رقابنا.

فيقول: أنتم أحبتي أنتم أهل ولايتي وعنايتي هذا وجهي فشاهدوه، هذا كلامي فاسمعوه، هذا كأسي فاشربوه ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسَان، الآية: ٢١].

إذا شربوا طابوا، وإذا طابوا طربوا، وإذا طربوا قاموا، وإذا قاموا هاموا.

ذو النون والقرآن

كان ذو النون المصري كثيراً ما يقرأ القرآن ثم بعد ذلك يشتغل بالحديث فسمع في المنام يقول له:

إنْ كنتَ تزعمُ حبّي ... فلمَ هجرتَ كتابي

أما تدبرت ما فيه ... من لطيفِ عِتابي

رابعة العدوية مع حبها

وقد جرد الصوفية الحب عن المطامع والشهوات وأخلصوا الحب لله تعالى، فليس في حبهم علة ولا لعشقهم دواء إلا رضى مولاهم. تقول رابعة:

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظاً جزيلاً
أو لكي يسكنوا الجنان فيحظوا بكؤوسٍ ويشربوا السلسبيلا
أو يقيموا بين القصور جميعاً أنا لا أبتغي بحبي بديلاً

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ محبة الله تعالى يجب أن تكون ظاهراً وباطناً:

- أما الظاهرة أن تبتعد عن أدناس النفس والأذى بين الناس.
- وأما الباطنة أن تصفي قلبك من الأدناس وتجعله مسكناً لنور للرحمٰن، لأن هذا القلب لا يكون مسكناً للرحمٰن والشيطان في آن واحد ولا يجتمع فيه الظلمة والنور.

٢ ـ لا يشتغل القلب إلا بمولاه، لأن الله يحب القلب الذي فيه السكينة والقوة في الحق والليونة بين الإخوان.

لما اشتغل قلب مريم بحب ابنها سمعت صوتاً: لما كان سرُّك صافياً لنا كنا نرزقك في الشتاء والصيف والشتاء من غير واسطة.

ألا ترى إلى السيدة مريم عندما كانت منشغلة بقلبها وحبها لله ﷻ كان يأتيها رزقها من غير عناء في الصيف، ويتساقط عليها الرطب كلما نظرت إليها واشتهت منها شيئاً. وبعد مجيء سيدنا عيسى عليه السلام انشغلت به قليلاً، فصار يأتيها رزقها بشدة وذلك قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريَم، الآية: ٢٥].

٣ ـ ولا يتلذذ القلب بمحبة سيده إلا بعد أن يخدم إخوانه، كلما مددت يد المعونة والمساعدة مدت لك يد الرحمة والمحبة من السماء، ومن يفرج كربة عن أخيه يفرج الله عنه كرباته في الدنيا والآخرة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله**».